الفصل الثالث

موقف المستشرقين اليهود
من الحركة الصهيونية وإسرائيل،
وتقييم جهودهم.

obeikandl.com

أولا : موقفهم من الحركة الصهيونية وإسرائيل :

تمهيد :

من خلال الاستقراء العلمي، ودراسة حياة المستشرقين اليهود وتتبع مسلكهم وتحليل أقوالهم، من الممكن أن نبلور موقفهم من الحركة الصهيونية ودعوتها المشؤومة إنشاء دولة لهم في فلسطين، ثم موقفهم إزاء هذه الدولة العدوانية التي أشعلت النار فوق أرضنا المقدسة، وشنت الحروب المدمرة علينا.ونستطيع أن نصنفهم في مجموعات متباينة ومتناقضة على النحو الآتي:

أولا : المطالبون بالاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها :

ظهرت جماعات كثر من المفكرين اليهود ترفض أي دعاوى تتعلق بإنشاء وطن لهم، و تطالب باندماج اليهود والذوبان في الأوطان التي ولدوا على أرضها واستقروا في ربوعها، ويدعون للإخلاص لهذه الأوطان والمشاركة في بنائها ونهضتها من منطلق أنهم مواطنون صالحون، مثل باقي الأجناس التي يضمها أي وطن، فعليهم أن يشعروا أن هذا وطنهم الحقيقي ويعمقوا هذا الشعور الباطني من خلال الاندماج في نسيجه والتفاعل مع تركيبته الاجتماعية ومؤسساته السياسية والتعليمية كباقي الطوائف الأخرى؛ ويتزعم هذه الدعوة إبراهام جيجر وهرتفج دارنبور.وماكس مايرهوف وجوتشلك.

ثانيا : المحايدون من مشروع إنشاء الدولة :

هناك فئة أخرى استقروا في دولهم وتكيفوا مع أوضاعها ورضوا بالإقامة فيها، ورتبوا حياتهم على الاستمرار في العيش الهادئ والتمسك بذلك ولا يخطر ببالهم التضحية بأوطانهم في سبيل سراب خادع وأمل كاذب، ومشروع ليس من ورائه إلا وجع القلب وصنع المآسي وتأنيب الضمير، وغير مهتمين بشؤون الكيان الصهيوني، ولا يبالون بما يجري فيه، أو المآزق التي يعاني منها أو الحروب التي يخوضها ظلما وعدوانا، ويمثل هذا الفريق؛ دافيد سانتلانا، وليفي دلافيدا. وروبرت برنشفج،

ثالثا: المتعاطفون مع جماعات اليهود المطالبون بإنشاء دولة لهم، ولكنهم متمسكون بالوطن الذي يعيشون فيه:

يمثل هذا التيار جمهور عريض من اليهود الذين استقروا في الأوطان التي يعيشون فيها مئات السنين، حاولوا الاندماج قدر ما تسعفهم مصالحهم المادية، وكيفوا حياتهم على هذا النحو، ولا يخطر ببالهم أن يتركوا هذه الأوطان للذهاب إلى فلسطين تحت أي مزاعم.وكان معظم يهود مصر والعراق والمغرب واليمن أنموذج صادق وتعبير حي عن هذا الفريق، وكذلك الذين هاجروا إلى أوربا وأمريكا، وشغلوا مناصب هامة ووظائف مرموقة في الجامعة أو السلك الدبلوماسي، واستقرا فيها سنوات مديدة ورتبوا حياتهم على الإقامة فيها وعدم مغادرتها، وتكيفوا مع أوضاعهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، ومع كل هذا فهم يناصرون إنشاء الدولة ويؤازرون دعاتها ومشروعها، بطريقة علنية أو خفية، و يعبر عن هذا الفريق؛ سلمون مونك وجولد تسيهر، هرتفج هرشفلد، فون جرنباوم، جول أوبرمن، هاري ولفسون.

رابعا: المساهمون مع الحركة الصهيونية في قيام الكيان الصهيوني:

هذه المجموعة تنشط نشاطا محموما بصراحة، ودون مواربة في عمل جاد وجهد إيجابي لبناء أركان «الكيان الغاصب» و يبذلون جهدهم ويسخرون علمهم، ويسافرون هنا وهناك، ويتحركون على مستوى العالم؛ الأوربي والعربي والإسلامي، لكن في الوقت نفسه يتمسكون بالعيش في الأوطان التي استقروا فيها، ولا يرغبون في مغادرتها، ولا يجدون تناقضا بين المسلكين ويمثلهم؛ جوزيف هاليفي وجوزيف هورفتز.

خامسا: المطالبون بإنشاء دولة لليهود في فلسطين والمتحمسون للهجرة:

مع اشتداد ساعد الحركة الصهيونية وكسبها تعاطف الدول الأوربية التي عزمت على التخلص منهم وتطهير أوطانهم من مؤامراتهم ومكائدهم، وفي الوقت نفسه تصدير المشكلة إلي العرب وهذا يحقق لهم فوائد جمة أهمها؛ إشعال الحروب بينهم، ووقف حركة التنمية في أوطانهم، استنزاف ثرواتهم وجهدهم، استمرار تبعيتهم للغرب،

أضف إلى ذلك انضمام كبار الأثرياء اليهود للحركة الصهيونية ومساعدتها بالأموال

والنفوذ، في هذه الأجواء المحمومة؛ سارع بعض المستشرقين الانتهازيين لركوب الموجة واللحاق بقطارها والسير في ركابها، من منطلق المصلحة الذاتية وتحقيق المآرب الشخصية لا غير، والحصول على عمل يدر عليهم دخلا سخيا بعد أن عز العمل في الدولة التي يعيشون فيها، ويمثل هذا الفريق؛ مارتن بلسنر، ليوأري ماري، باول كرواس، دافيد بانيث.

سادسا: المساهمون في إنشاء الكيان الصهيوني، ثم تراجعوا عن أفكارهم:

يبدو أن المسار الفكري للإنسان لا يسير في خط تصاعدي، ولكنه قد يتذبذب علوا وانخفاضا، إيمانا وإنكارا؛ فيؤمن الإنسان بفكرة من الأفكار ويعتقد في صوابها ويتشيع لها، ثم بعد فترة، إذا جلس بينه وبين نفسه، بعيدا في هدوء نفس وحوار صادق، ومراجعة ضمير، قد يتراجع بسهولة عما كان يعتنقه من أفكار أو يؤمن به من مذهب.كما تراجع القديس أوغسطين (٤٣٠م) عن مسلكه المشين وأفكاره المضطربة، وعاد إلى مبادئ المسيح الحقيقية.[١]

هذه قضية نلمسها عند كثير من المفكرين، وهذا أيضا ما ينطبق على شخصية شالوم جويتاين، فبعد أن شارك مشاركة قوية في إقامة «الكيان المغتصب» وحارب في جيشه العدواني، فكر كثيرا ثم تراجع وحزم حقائبه وولى وجهه تجاه أمريكا مخلفا وراءه الكيان المغتصب بكل ما أحدثه من دمار وما أشعله من حروب في المنطقة، وما خلفه من ذكريات مؤلمة في ذاكرته ووجدانه فتركه وعاش بعيدا مقتنعا أن هذا كيان عدواني مثل أكلة لحوم البشر، لا يستطيع أن يعيش إلا عن طريق إشعال النار في كل مكان وفي أي زمان.

ومن الجدير بالذكر أن هناك الآلاف الذين يشاركون جويتاين الفكرة ذاتها، ومع أول خطر يهدد هذا الكيان، يحملون «ما خف وزنه وغلا ثمنه» ويولون مدبرين إلى أصقاع العالم، وهذا أمر مشاهد ويعلن عنه الكيان الصهيوني، كلما تعرض لخطر داهم من الأخطار، فيما يسمى بالهجرة المعاكسة؛ أي الخروج من إسرائيل إلى خارجها.هذه نقطة؛

(١) محمد الزيني: القديس أوغسطين وفلسفته، بحث منشور في مجلة كلية الآداب (العدد ٢١)، جامعة صنعاء، ١٩٩٨.

والأخرى، من الملاحظ أن معظم من هاجر إلى إسرائيل ينتمي إلى أفقر الأوساط الاجتماعية، ومعظمهم جاءوا من دول فقيرة أو نامية، في حين إن الطبقات الميسورة البرجوازية التي كانت تعيش داخل الوطن العربي تفضل الهجرة في اتجاه أوربا وإلى الأمريكتين. (١)

***

(١) تاريخ يهود النيل ص ٩٨

obeikandl.com

ثانيا: الاستشراق اليهودي؛ بين الإيجابيات والسلبيات[١]:

تمهيد:

نود أن نجمل إيجابيات الاستشراق اليهودي وكذا سلبياته، في نقاط مركزة وعناصر محددة، اعتقادا منا أنه يدخل في نطاق الدراسات الاستشراقية وجزءًا منه، وأن العلاقة بينهما علاقة اشتمال، والنظرة الفاحصة تستطيع أن تلمس التشابه التام بين سمات الاستشراق اليهودي بخاصة والدراسات الاستشراقية بعامة، سواء أكان ذلك في الإيجابيات أو السلبيات إلا من تمايز هين وفوارق يسيرة هنا وهناك.

أ- ميدان الإيجابيات:

١- الإنتاج الغزير والتأليف الوفير والكتابة المميزة، وهذا بين عند الكثير منهم، ولافت للنظر أمام القارئ في مصادر الاستشراق اليهودي بخاصة، كما هو واضح أيضا في الظاهرة الاستشراقية بعامة، وما أوردناه سابقا من مؤلفات جولد تسيهر وماكس مايرهوف وباول كراوس وفرانز بروفنسال وغيرهم دليل حيٌ على ذلك، فضلا عن تحقيق المخطوطات، وحجة على من يشكك في الفكرة ذاتها.

يقول د.الجابري: نحن لا ننكر مجهودات كثير من المستشرقين الذين ساهموا في نشر عدد مهم جدا من كتب التراث العربي الإسلامي وتحقيقه، وسلطوا الأضواء على جوانبه..ولكن يجب أن نكون واعين في الوقت نفسه بأن اهتمامهم بهذا التراث لم يكن في أية حال من الأحوال، ولا في أي وقت من الأوقات، من أجلنا العرب والمسلمين ،بل كان دوما من أجلهم هم.[٢]

---

(١) بسطت في كتابي الاستشراق والتنصير، إيجابيات الاستشراق وسلبياته، بسطا واسعا وتعرضت للحديث المستفيض لشرح مالهم وما عليهم، مستشهدا بالأمثلة وذكر آراء المفكرين العرب، (١٩٥-٢٣٧).

(٢)محمد عابد الجابري: الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الاسلامية ص ٣٣٥ (ضمن مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٥).

على فرض صحة رأي د، الجابري واحترامنا له، فنحن لا نستطيع أن نعمم حكمه على «كافة» المستشرقين، ولكنه ينطبق على بعضهم، إذ لاشك أن هناك من الباحثين من كان غرضه فوق الاعتبارات الجنسية أو العنصرية أو القومية، وخارج خريطة المركزية الأوربية، وكان يبحث من أجل الفكر الإنساني وخدمة الحضارة الإنسانية والخير العام المتجذر في أعماق النفس الإنسانية.هذا من جهة، ومن جهة أخرى علينا أن ننظر للمردود العلمي لهذه المؤلفات التي سعينا للإطلاع عليها ونهضنا لترجمتها إلى لغتنا للاستفادة منها و العبرة بالنتائج، ونعتقد أن نتائجها الإيجابية والسلبية بالنسب إلينا ولتراثنا وتاريخنا، كانت إيجابية لأنها شحذت همتنا وحركت غيرتنا وأثارت نخوتنا للتصدي لأفكارهم والرد عليهم.

٢ – الإرادة الصلبة والعزيمة القوية والهمة الفتية في العمل والمثابرة على تحمل المشاق والسفر المتواصل للبحث عن المصادر الأصلية والمراجع الهامة للاطلاع عليها وقراءتها قراءة متأنية، ودراستها في تؤدة وتحليل أبعادها ومحاولة استنباط نتائجها وفهم مراميها، وكذلك التنقيب في التراث الإسلامي من خلال البحث عن المخطوطات والوصول إلى أماكنها مهما كلفهم ذلك من عناء ثقيل وجهد جهيد وتحمل السفر إليها والعكوف على تصنيفها سنوات، ورصدها في فهارس مبوبة وأجزاء ضخمة وطباعة واضحة أنيقة، تسهل الباحث الوصول إليها في يسر وسهولة؛ فضلا عن قراءتها وتحقيقيها والمعاناة الشديدة في فك طلاسمها وقراءة خطوطها العجيبة وسطورها المطموسة، وحروفها المتآكلة، وصفحاتها المخرومة وأوراقها المتهالكة، إن هذا العمل المرهق يحتاج إلى مزيد من الصبر الجميل والجهد الكبير والجلد المستمر والطموح الواسع.

٣– ترجمة القرآن الكريم ترجمات متعددة، ودراسته دراسة واسعة، وهذا بلا شك عمل إيجابي، وضع القرآن في متناول القارئ الأوربي الذي يبحث عن الحقيقة ولفت نظره لمراجعته ومدارسته، ومن يريد أن يقرأ ويتعرف على سماته وتركيباته وحوادثه وقصصه؛ وبالجملة ما ورد فيه من أخبار الأولين والغابرين وتاريخ

الأنبياء السابقين؛ مع اعترافنا بأن بعضهم قد أساء إلى القرآن كما رأينا سابقا عند جيجر وجولد تسيهر، وهورفتس وهرتسفلد وإدعائهم أنه من تأليف محمد ﷺ، ومع هذا فإن هذا الهجوم لاشك أنه لفت انتباه الكثير من المستشرقين اليهود وغير اليهود للبحث عن حقيقة القرآن والوقوف أمامه بقدر من العدل والإنصاف ومحاولة فهمه وتذوق كلماته والتأمل في أسلوبه ودراسة بلاغته و التعرف على مصدره، ودراسته دراسة نزيهة موضوعية.

٤- الحديث عن سيرة الرسول ﷺ حديثا مستفيضا، ودراسة حياته دراسة مستوعبة، وتتبع مسيرة حياته في طفولته وشبابه ورجولته وزواجه ورحلاته وبعثته، ووقوفه الصلب في مواجهة عناد مشركي العرب، وصدامه المسلح معهم ومع اليهود في المدينة وأطرافها، وغزواته وانتصاراته، وأقواله وتشريعاته، وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية.

الحقيقة أن المستشرقين اليهود لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة متصلة بحياة الرسول ﷺ ولا شأن مرتبط بسيرته من قريب أو بعيد إلا وقفوا أمامه يناقشوه ويحللوه، ويحاولوا أن يفهموا مغزاه، وما الباعث المختبئ خلف هذا الحدث أو الموقف، ثم يعرضوا نتائجهم ويظهروا استنباطهم ويشرحوا وجهة نظرهم والرأي الذي توصلوا إليه.

وعلى الرغم من معارضتنا لمعظم النتائج التي توصلوا إليها، والكثير من الاستنباطات الخاطئة، والصورة المشوهة التي عرضوها، لاسيما سلبهم صفة النبوة عن الرسول ﷺ وإنكارهم للجانب الغيبي في رسالته (الميتافيزيقي) وتقريرهم أنه قائد محنك أو مصلح اجتماعي أو زعيم سياسي بعيد النظر، عبقري في سلوكه وفي المواقف الصعبة؛

نقول بصرف النظر عن هذه الدعاوي التي تنبع من رصيد الكراهية وبئر التعصب، وتنطلق من النظرة العنصرية، فإن هذه الدراسات الواسعة والكتابة المستفيضة والتناول الواسع؛ لفت نظر علماء أوربا إلى أهمية رسول ﷺ الإسلام، وجهوده في الارتقاء بأمته وتربيتها على أساس القيم الخلقية، والمثل العليا المنبثقة من الوحي الإلهي، وإعدادها لحمل رسالة السلام للأمم الأخرى، ودوره في خدمة الإنسانية، وأثار فضولهم ودفعهم أن

يدخلوا الميدان لمحاولة البحث عن الحقيقة؛ إذ من المستحيل أن تكون هذه الملايين التي اعتنقت الإسلام وصنعت هذه الحضارة السامقة، غبية أو جاهلة، أو غشيت أعينهم أن يبصروا الحقيقة، أو استولت الغفلة على عقولهم عشرات القرون كما ذهب إلى ذلك إدريان رولاند في دفاعه عن الإسلام.

إن هناك حقائق في الحياة، وثوابت في الوجود، ومنظومات فكرية لها صفات الجبال، لا تستطيع كتابات اليهود أو غير اليهود أن تطمس معالمها أو تحجب أشعتها، أو تشوه صورتها وجمالها وصفائها، ومن ثم لاغرو أن نجد المئات من المستشرقين الذين انكبوا على سيرته العطرة ﷺ ودرسوها، خرجوا بنتائج تنصف رسول الإسلام وتضعه ورسالته في سياق سلسلة النبوات التي نزلت من السماء لكي تنقذ البشرية من عمائها ومن ضلالاتها وغيها، وغبش تصوراتها، وتقودها إلى شاطئ الأمان وبر العدالة وطريق الحق والخير والفضيلة والسلام.(١)

٥- ترجمة مئات من المؤلفات التي هي نتاج العقلية العربية الإسلامية؛ وإبداعها، في جميع المجالات الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية؛ الرياضية والطبية والصيدلانية والفلاحية، ونقلها إلى اللغات الأجنبية - لاسيما وقد مهروا في إتقانها - وقد عكفوا على دراستها وإظهار مميزاتها ثم نشروها في أوربا مما ساعد في قيام نهضتها وتنويرها، سواء الكتب القديمة التي ترجمها علماء الإسلام وفلاسفته التي نقلوها عن الفكر اليوناني، أو الكتب التي جادت بها قريحة علماء المسلمين وفاضت بها عبقريتهم؛ وهذا وذاك مثل رافدا للتراث الإنساني ومشاركة إيجابية في بناء الحضارة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعد شهادة لإبداع العقلية العربية ومساهمتها الإيجابية والأصيلة في تشييد أركان الحضارة العربية الإسلامية.

---

(١) خليل ياسين: محمد عند علماء الغرب، في هذا الكتاب رصد المؤلف أكثر من ثلثمائة شخصية عالمية؛ مستشرقون وغير مستشرقين؛ أدباء وشعراء وأطباء وكتاب وفلاسفة، أثنوا على الرسول وتحدثوا عن جوانب العظمة في شخصيته، ومدحوا أخلاقه ومسلكه مع أعدائه وأصدقائه.بما فيهم من شخصيات هاجموه في بعض مراحل حياتهم، ثم عادوا إلى صوابهم وعدلوا عن آرائهم.

٦- إرساء قواعد المنهج العلمي، والأخذ بقواعده والاجتهاد في تطبيقه على بحوثهم، وتقديم صورة طيبة للبحوث الجادة والإنتاج الرصين؛ مع إيماننا أنهم ليسوا سواء في هذا المضمار فمنهم من تنكب طريق البحث العلمي وحاد عن أسسه وتجافي عن الحيدة و الموضوعية، ومنهم من وفق في خطواته وأصاب في منهجه.[١]

٧- إسلام بعض المستشرقين اليهود ودخولهم في الإسلام [٢]، ليس هذا فحسب بل تحمسوا في الدفاع عنه، وحث المسلمين التمسك بمبادئه، والجهاد في سبيل انتشاره.وهذا مكسب كبير وأبرز مثال على ذلك إسلام الكاتب النمساوي اليهودي ليوبلد فايس (١٩٠٠- ١٩٩٢) الذي اختار لنفسه اسم محمد أسد بعد أن شدته مبادئ الإسلام وجذبته دعوته إلى الإخوة العالمية والتسوية بين الناس جميعا دون تفرقة بين جنسا أو آخر. وقد حسُن إسلامه وذهب إلى مكة وأدى فريضة الحج وكتب انطباعاته عن هذه الرحلة الروحية والزيارة القدسية.ومن كلماته الموحية:

- «إذ امتدت مدنية أجنبية بشعاعها إلينا وأحدثت تغييرا في جهازنا الثقافي، وجب علينا أن نتبين مدي هذا الأثر أيجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أم يعارضها، وهل يفعل في

(١) في إصرار عنيد وإيمان عميق ولغة قاهرة وحجج قوية باهرة وأسلوب عربي فصيح، يبرهن الشيخ محمود شاكر على نفي صفة العلمية وإنكارها كلية عن منهج المستشرقين، ويدلل بعدم قدرتهم على فهم اللغة، ومخزون ثقافتهم التي تشربوها وغلبة أهوائهم وميولهم الذاتية.(رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٦٤ وما بعدها) ونحن نحترم وجهة نظره كل الاحترام، وندافع عنها لكننا نعترف أن القوم أصحاب منهجية علمية لا شك في ذلك. يجمل د. عماد الدين خليل شروط دراسة السيرة في ثلاث نقاط؛ الإيمان بالوحي، الموضوعية، المنهج العلمي، ويرى أن دراسات بعض المستشرقين أغفلت الشرطين الأوليين، ولم يبق لهم إلا المنهج العلمي الذي تمثل في الإحاطة بأدوات البحث التاريخي، بدءا باللغة وجمع المادة الأولية، وانتهاء بطرائق الموازنة والنقد والتحليل والتركيب، ويؤكد أنهم بلغوا حد التمكن والابداع في الشرط الأخير.(المستشرقون والسيرة النبوية ص١١٨، ضمن مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٥).

(٢) راجع كتاب عظماء الغرب يعتنقون الإسلام، إعداد مركز العلم للدراسات، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٧.

جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل أو فعل السم» [١].

- «بدلا من أن نخضع الإسلام باستخذاء للمقاييس العقلية الأجنبية، يجب أن ننظر إلي الإسلام على أنه المقياس الذي نحكم به على العالم» [٢].

- «إن توحيد السلوك والتفكير والأذواق وتنظيم الحياة الفردية والمظهر العام وطرق التخاطب، سياسة تتناقض مع الحياة القائمة على التنوع والتكامل.» [٣]

٨ - تحريك همة علماء الإسلام؛ زرافاتا ووحدانا، أفرادا ومؤسسات للرد على افتراءات المستشرقين، وإثارة روح الغيرة في أعماقهم، وبث الحمية في نفوسهم، وارتفاع الأصوات مطالبة بالذود عن مبادئ الإسلام في مواجهة هذه الهجمة الشرسة، وقد تصدي عشرات بل مئات من مفكري الإسلام للرد على مزاعمهم وأكاذيبهم. وقد أخرجت المطابع العربية آلاف من الكتب تفند مزاعم المستشرقين اليهود وغير اليهود، وتفرغ علماء الإسلام لدراسة هذه الأفكار المنكرة والآراء الفجة، وهذا أفضى إلى تقسيم العمل فيما بينهم، بحيث يتناول كل عالم مسلم في مجال تخصصه ما أنتجه الاستشراق في الفنون المختلفة ويرد عليه بالدليل الدامغ والبرهان الساطع؛ متسلحا في كافة خطواته بقواعد المنهج العلمي.هذا من جهة؛

ومن جهة أخرى سارعت كثير من الجامعات الإسلامية في إنشاء أقسام لدراسة الظاهرة الاستشراقية ما لها وما عليها، ووضعت بعض الكليات هذا المقرر ضمن برنامجها الدراسي، فضلا عن الندوات الثقافية التي تعقدها حول جهود المستشرقين ومناقشة ذلك في جو علمي ورصانة فكرية ودراسة معمقة مع استخدام قواعد البحث العلمي، أضف إلى كل ذلك قررت بعض الجامعات؛ مثل جامعة الأزهر إصدار موسوعات إسلامية وافية تشتمل على معظم فروع المعرفة، تتناول أعمال المستشرقين ونتائج بحوثهم والرد على

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١٨ .
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١١٦.
(٣) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١١٩.

مزاعمهم وتفنيد آرائهم، وأثمرت جهود العلماء في إصدار خمسة مجلدات حتى الآن.

ب- ميدان السلبيات:

من منطلق الضعف البشري، ونقص الطاقة الإنسانية، وقصور قدرات الإنسان مهما بلغ ذكاؤه وتعددت مهاراته وتنوعت ملكاته، فعمله قاصر في جميع الأحوال، وهذه حقيقة يسلم بها الجميع، ونحن ننجز العمل اليوم ثم ننظر فيه غدا فنشعر بالنقص الذي أحاط به، والقصور البادي فيه، وهكذا هي حقيقة الحياة وطبيعة أعمالنا البشرية، ونشدان الكمال وبلوغه مؤكد أنه ليس في هذا العالم، وإنما في عالم آخر من إبداع الله سبحانه وتعالي.

في ضوء هذه البديهيات، نشير إلى سلبيات الاستشراق اليهودي بموضوعية كاملة، وبإنصاف واضح، ودون تجن أو استخدام لغة عاطفية او أسلوب انفعالي، وهاك السلبيات التي استطعنا أن نرصدها من خلال النظر في كتبهم وقراءة أفكارهم وتحليل رؤاهم.

١- لاشك أن القرآن الكريم كان أكبر ميدان ساح فيه المستشرقون اليهود وصالوا وجالوا، وهاجموه هجوما شرسا إذ توفر معظمهم، على دراسته دراسة لغوية (فيلولوجيا)[١] مع الاعتقاد المسبق بأنه من كلام البشر، والإصرار على مقولة أنه من وضع الرسول ﷺ الذي استمد أفكاره من التراث الهندي والدين اليهودي وكلام الرهبان ومقولات المسيحية وبلاغة حكماء العرب وصور شعرائهم الخيالية، والذهاب في هذا الفرض كل مذهب وجاهدوا في هذا الميدان كل جهاد من اجل دعوة الشيطان، ليس هذا فحسب بل محاولة مقابلة بعض القصص في القرآن على ما ورد في التوراة، و الاستنتاج بأن اللاحق أخذ معلوماته من السابق، ثم البحث في جذور الكلمات العربية و مشتقاتها في اليونانية والعبرية، والخروج بنتيجة مؤداها؛ أن الرسول اقتبس كل هذه المفردات والتعليمات والأفكار من تراث الأمم القديمة.

---

(١) المنهج الفيلولوجي التاريخي، يقرر أن دراسة أي حضارة، يتم عن طريق تحليل النصوص الأصلية التي أنتجتها الحضارة تحليلا لغويا تاريخيا، بناء على أسس محددة تحديدا دقيقا وعلى تحقيق المخطوط من آثارها.

وكان للمستشرقين اليهود باع طويل وذراع، في هذا الميدان، كما رأينا سابقا في بحوث فايل و جولد تسيهر وهرتشفلد وهورفتس.

ولاشك أن هذه الدراسات البائسة إما أن تكون نوع من أنواع التنفيس عما يدور في صدورهم من كراهية وحقد علي القرآن الذي فضح أساليبهم وكشف عن خبيئة أنفسهم وعرى خداعهم ونفاقهم عبر التاريخ، وجبنهم مع الأعداء، و سوآتهم مع الأنبياء، وعرْض بمواقفهم المتخاذلة مع سيدنا موسى، وقبولهم الذل والاستخذاء تحت حكم فرعون.

أو تعبر عن جهل واضح بمفردات القرآن الكريم، وأسلوبه المحكم ومعطياته الفياضة. ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩]

ونرد بكلمات مختصرة قاطعة، لقد ظهر في التاريخ مئات الكتب التي عولت عليها البشرية واتخذتها إنجيلا لها في حاضرها ومستقبلها ثم بعد فترة زمنية طالت أم قصرت، طوي الزمان هذه الكتب، وبليت في أيدي أصحابها قبل أنصارها، وراحت في غياهب النسيان نسيا منسيا [(١)]، في حين أن القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، قاطع في أحكامه، ثابت بنصوصه لم يتغير منه كلمة واحدة، ولم يتحول منذ أن أُوحي به على قلب الرسول ﷺ، يقرأه المسلمون في جميع أنحاء المعمورة كما قرأه الرسول، وفي الوقت نفسه يساير كل عصر ولا تتعارض معطياته مع مكتشفات العلم الحديث والمعاصر.﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]

٢- كثف المستشرقون هجومهم على شخصية الرسول ﷺ، بعد الهجوم علي القرآن، واستخدموا كافة أنواع الأسلحة الثقيلة أو من العيار الثقيل، ولما كان الرسول ﷺ يمثل

(١) احتلت بعض الكتب مكانة عريضة في قلوب وعقول جمهرة المثقفين وأنصاف المثقفين ثم طوتها يد الزمان مثل، جمهورية أفلاطون، والأخلاق عند أرسطو، ورأس المال لكارل ماركس، وثروة الأمم لآدم سمث، وأصل الأنواع لتشارلز داروين، وهكذا تكلم زرادشت لنيتشه وغيرها من الكتب التي احتفلت بها البشرية ردحا من الزمن، وصدعت بها رؤوسنا وملأت الدنيا حولها ضجيجا وصخبا، ثم آلت إلى زاوية بعيدة في متاحف التاريخ..

الشخصية الأولى في الإسلام والمؤسس لهذا الدين السمح والأخلاق القويمة والمثل العليا والمبادئ السامية، والذي وضع أسس هذه الدولة الفتية في المدينة المنورة والتي تمددت شرقا وغربا وبسطت نفوذها على العالم أجمع، أقول لما كان الرسول ﷺ له هذه المكانة السامقة، فقد تنادى المستشرقون اليهود فيما بينهم واتفقوا على تنائي الدار وتباعد الزمان أن يهدموا هذه الشخصية النبيلة وينالوا من مكانتها، وهيهات.

«وهكذا كان الإسلام بالنسبة إليهم من «عمل الشيطان» وكان القرآن «نسيجا من السخافات»، وأن محمدا ﷺ نبي كذاب، وأنه الدجال؛ أما المسلمون فهم ليسوا سوى نوع من المتوحشين».[1]

في ضوء ذلك جاءت اتهاماتهم السخيفة، وادعاءاتهم الهزيلة؛ بدءًا من الزعم، بأنه تعلم دينه من بحيرا الراهب، وإنتهاء بقسوته على يهود بني النضير والقينقاع وفتحه خيبر وطردهم من أطراف المدينة، مرورا بقصة مرض الصرع المزعوم، وشهوانيته، وقصة زينب بنت جحش، والغرانيق وميله إلى مسالمة المشركين.!!!

الحقيقة أن الاستشراق اليهودي لم يترك شاردة ولا واردة في حياة سيدنا رسول الله ﷺ، إلا توقف أمامها وتفحصها وحللها وقلبها ظهرا إلى بطن، وفك لحمتها من سداها، وخرج بنتائج مزيفة تتعارض تمام التعارض مع حقيقة سيرة الرسول ﷺ الطاهرة، هذا ما رأيناه من إدعاءات جيجر وفايل وتلفيقات جولد تسيهر وشتائم هرتشفلد ومنكرات هورفتس وغيرهم من بني جلدتهم.

على أننا نحب أن نقول: بالرغم من هذه الجهود العدائية والصورة المشوهة التي عرضوها لحياة الرسول ﷺ والهجوم العنيف ضده، فإن هذه الاتهامات مثل ضباب الصباح يظهر قليلا ثم يضمحل، نعم ذهبت أدراج الرياح، وصارت قبض الريح، وتبخرت مع الأيام، وطويت في صفحات التاريخ.هذه نقطة، والنقطة الأخرى إن هذا الهجوم دفع مئات من علماء أوربا لقراءة سيرة الرسول ﷺ قراءة منصفة، ودراستها دراسة موضوعية، ثم الإشادة بها والدفاع عنها وبعضهم أعلن إسلامه.

(١) الطيباوي: المستشرقون، الناطقون بالإنجليزية، ص١٩.

النقطة الثالثة، هب علماء المسلمين في حمس بالغ، يذودون عن حياض نبيهم، يفندون أكاذيب المستشرقين وغير المستشرقين، ويردون علي اتهاماتهم، ويعرضون الصورة الحقيقية لشخصية رسولنا الكريم كما جاءت في أصدق المراجع وأوثق المصادر، وأجمعت عليها كافة الروايات المتواترة الموثوق بها.هذا ما وجدناه في كتاب «الوحي المحمدي»، لرشيد رضا، و «حياة محمد» لحسين هيكل، و «عبقرية محمد» لعباس العقاد، و «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي، و «هكذا تكلم الرسول» لخالد محمد خالد، وفقه السيرة للشيخ البوطي.

٣- إحياء الفرق المندثرة في الحضارة الإسلامية، والإعلاء من شانها وبعث أفكارها والإشادة بدورها في تخريب العقيدة الإسلامية، ودراستها كأنها ما زالت حية بيننا؛ مثل اليزيدية والغرابية والجناحية والشيخية قديما والبابية والبهائية والقاديانية حديثا.

هذا ملحظ واضح عند المستشرقين اليهود، ويبدو أنهم قد عاهدوا أنفسهم أن يتعاونوا مع الشيطان في سبيل التشويش على الفكر الإسلامي بخاصة والحضارة الإسلامية بعامة.

وينطبق عليهم تعبير يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢)الكاتب المصري اليهودي الساخر [١]، وهو ينقد مسلك أحد اليهود إذ يقول: «يروح من مولاه شاكيا، ولشيطانه شاكرا، فكأنه عاهد إبليس فلم يخن له عهدا، ووعده أن يجد عنده كل معصية فلم يخلف له وعدا.» [٢]

٤- إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والعصبية والقومية، وبث روح الفرقة بين المذاهب العقائدية ومحاولة توسيع شقة الخلاف بينهما.وقراءة الفكر الإسلامي وتاريخه بعين الكره والتعصب؛ فهذا من الشمال وذاك من الجنوب وهذا عدناني وذاك قحطاني وهذا أموي وآخر عباسي، وهذا سني وذاك شيعي، وهذا شافعي وذاك حنبلي، هكذا يركز المستشرق على كافة الأثنينات عند المسلمين ويناقش القضية متحيزا لفرقة دون أخرى،

(١) ترجمته في: الأعلام ج٨/ ١٩٨.
(٢) المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤٥.

ومعليا من شأن إحداها مهاجما الفرقة الثانية، كأن أحدا قد وكله للدفاع عنها، حتى يشعر القارئ أنه يتكلم عن تاريخ ليس تاريخنا، وعن شخصيات لم نقرأ عنها ونجهلها جهلا تاما.ويقف جولد تسيهر على رأس هذا الفريق.

وفي ضوء ذلك نقول: «لا ينبغي لنا أن نبحث عن أي اتفاق بين اللغة المستخدمة في تصوير الشرق والشرق نفسه، ولا يرجع سبب ذلك إلى أن اللغة تفتقر إلى الدقة بقدر ما يرجع إلى أنها لا تحاول توخي الدقة.» (١)

ومع إيماننا بأن أغلب ما ذكره المستشرقون عانى منه الفكر العربي الإسلامي وتاريخه ومر بتجارب أليمة، على أن هناك فرقا في المعالجة وتناول الحادثة، بين من يرأب الصدع الذي ظهر في مرحلة تاريخية محددة ويشرح أبعاد الخلاف ويقرب الشقة بين المؤمنين، ومن يثير الأحقاد ثانية وينفخ في الرماد لكي يشعل النار في بيت المسلمين.

٤- تعظيم دور الشخصيات القلقة في الحضارة العربية الإسلامية، والمتهمة بالخروج على مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة، وتسليط الضوء عليها، وإظهار دورها في رفض مبادئ الإسلام كأنهم ثوار في التاريخ مجددون في الإسلام، والعكوف على دراسة تراثها دراسة معمقة والسعي الحثيث إلى نشره وتحقيقه تحقيقا علميا.وهذا ما قام به باول كراوس وماكس مايرهوف.

٥- تضخيم الخلافات السياسية التي وقعت في الحضارة العربية الإسلامية، والنيل من شخصيات الصحابة، وتعليل الصراع بينهم بأنه كان صراعا دنيويا ماديا محضا، ولم يكن حرصا على أوامر الشريعة وقواعد الدين، وتسليط الضوء على الجانب المظلم من التاريخ الإسلامي لاسيما الحروب التي دارت بينهم، والاهتمام بإحصاء عدد القتلى و الجرحى، رجالا ونساء، وأسلوب التعذيب والقتل، وإظهار خلفاء المسلمين وعظماء التاريخ الإسلامي ورجالاته أنهم عابثين شهوانيين، أهل سكر وخمريات وطرديات وغلاميات يمضون أيامهم في اللهو والعبث مع الجواري والمحظيات والوصيفات.والاعتماد على ما جاء في الأغاني وكتب الأدب العربي، دون أن يستخدموا

(١) ادوارد سعيد: الاستشراق ص ١٤٠.

المنهج النقدي في غربلة هذه الحكايات ووضعها تحت مجهر النقد التاريخي وقواعد المنطق السليم.

يقول محمد عمارة وهو بصدد تقييم الاستشراق: «إن حركة الاستشراق في مجملها قد تعمدت بث روح الهزيمة في عقول الأمة وقلوبها، بإبرازها الجانب المظلم من تراث أمتنا، وردها كل إيجابياته إلي تراث أوربا اليوناني، الأمر الذي رسب في العقول أن أمتنا لم تصنع مجدا غابرا متميزا وخاصا، فأني لها أن تصنع شيئا من ذلك وهي على ما هي عليه من الضعف الذي وصل بها إلي حد الهزيمة أمام الأوربيين أبناء الحضارة الفريدة المنتصرة.»[١]

وما ينطبق على الاستشراق بعامة، ينطبق تمام الانطباق على الاسنشراق اليهودي.

٦- سخر بعض المستشرقين اليهود جهودهم العلمية في خدمة الاستعمار، وتعاون الكثير منهم مع أعوان الاستعمار وقدم خبراته للمساعدة في إحكام السيطرة على الوطن العربي، وسخر علمه في خدمة مخططاته التي تقضي على كرامة الشعوب وآمالهم في غد أفضل وتمكينه من السيطرة على ثروات الشعوب واستنزاف خيراتها.

وفي هذا السياق تصدق مقولة هذا الشيخ الثائر على الاستشراق وتاريخه وأعماله ورجاله ووسائله وكل ما ينتسب إليه من قريب أو بعيد، والسين والتاء والشين والراء والقاف، يقول: «الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يُبصر ويحدق، ويده التي بها يُحس ويبطش، ورجلُه التي بها يمشي ويتوغل، وعقلُه الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظل في عَميائه يتخبّط»[٢]. وهذا ما رأيناه من مستشرق كبير مثل دافيد سانتلانا الذي تعاون مع الاستعمار الإيطالي، وجوستاف فايل مع الاستعمار الفرنسي.

٧- تعاون جمهرة من المستشرقين مع الحركة الصهيونية والتخطيط لها ومدها

(١) محمد عمارة: الإسلام وقضايا العصر ص٣٧.

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ١١٧/ ١١٨، إنني معجب أشد الإعجاب بأسلوب العلامة محمود شاكر، وقوة عبارته ونظمه البليغ، ورصفه الساحر وتمكنه من ناصية العربية باقتدار وأستاذية، علاوة على، غيرته على القرآن والرسول والعربية، وكل ما يمت بصلة إلى الإسلام وحضارته، وهذا الإعجاب لا يثنيني عن مخالفته في كثير من آرائه و مواقفه من المستشرقين.رحمه الله رحمة واسعة.

بالمعلومات والمساعدة في نجاح مشروعها الاستعماري وتمكين الكيان الإسرائيلي من القيام على أرض الفلسطينيين وانتزاع أرضهم واغتصابها من أصحابها، والمسارعة في تثبيت أركان هذا الكيان الاستيطاني المغتصب؛ مثل هورفتز وهاليفي ومارتن بلسنر.

***

obeikandl.com

خاتمة

١ - نحن أمام مجموعة من البشر؛ نبتوا من هذا التراب، ونشؤوا داخل مجتمعات، وتشبعوا بجميع الصفات البشرية التي نراها في الواقع الإنساني، من البخل والكرم، والضعف والقوة، والجبن والشجاعة والغباء والذكاء، والكره والحب، والانطواء والاجتماع، وهكذا؛ ومن ثم نرى أن مؤلفاتهم انعكاسا حقيقيا وتعبيرا صادقا وصورة واقعية لجملة هذه الصفات، ولذلك رأينا هذا التفاوت من حيث كم الإنتاج العلمي ونوعيته، والتباين من حيث الوقفة الموضوعية والدوافع النفسية، والتفاوت في النظرات التحليلية، والاختلاف في المنهج المعتمد، والمهارة في الاستنباط والاستنتاج.

هذه الفروق الفردية، تفسر لنا تباين مواقف علماء الاستشراق اليهود؛ مابين الإنصاف الواسع للحضارة العربية الإسلامية، والجحود الكامل لمنجزاتها، وبين الإنصاف والجحود هناك الموقف الوسط، الذي أشار إلى الإيجابيات لكنه في غمرة المديح وقف يذكر السلبيات.

و «إذا كنا نستطيع الإشارة إلى بعض الأعمال الاستشراقية العظيمة القائمة على البحوث الأصيلة؛ مثل المنتخبات العربية التي وضعها سلفستر دي ساسي، أو كتاب وصف أخلاق المصريين المحدثين وعاداتهم الذي كتبه إدوارد لين، فعلينا أيضا أن نذكر أن الأفكار العنصرية لدى رينان وجوبينو قد أملتها نفس النزعة.[1]

وما ينطبق على الاستشراق بعامة ينطبق على الاستشراق اليهودي بخاصة، فكما رأينا بعض الأفكار المجحفة، والآراء الظالمة تجاه القرآن والرسول ﷺ كما تجلى في كتابات

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص ٥٢

جولدتسيهر وهورفيتز وهرشفلد، لمسنا جوانب الإنصاف إلى حد كبير عند ماكس مايرهوف وليفى بروفنسال، ثم إننا لا نطلب منهم إلا الدراسة الموضوعية، ومحاولة القراءة المنصفة ونشدان الحقيقة، والتحرر من ضباب العنصرية والفروض المسبقة، والرواسب النفسية والتاريخية التي تفسد موضوعية البحث العلمي، وتعطينا بلا شك نتائج خاطئة، ومقولات متعسفة.

لقد صدق من قال: «ليس بالأمر الغريب أن يختلف المستشرقون معنا -نحن المسلمين -في الرأي حول الإسلام، وإنما الغريب أن يتفقوا معنا في الرأي، وذلك لأن منطلق تفكيرهم بالنسبة إلى الإسلام ونبيه، يختلف عن المنطلق الذي يصدر عنه تفكير المسلمين» (١).

٢- يدرك الدارس لنفسية الاستشراق اليهودي، امتلاء عقولهم بفكرة أخذت بألبابهم وسيطرت على عقولهم مؤداها؛ أنهم ظلموا على مدار تاريخ الإنسانية من كافة الأمم ومن جميع الأجناس ومن كل الدول، وقد أساءت إليهم شعوب الأرض قاطبة، ولم يتسع صدرها لهم ونبذتهم نبذ النواة، وإذا اتسع وقبلتهم داخل المجتمع؛ ضيقت على حركتهم ورصدت خطواتهم وكبلت حريتهم وحبستهم في الحارات الضيقة القذرة، وألزمتهم بأزياء معلومة وعلامات مميزة، ثم يضيق صدرها بوجودهم فيستأنفون المضايقة والمتابعة، ويقومون بمطاردتهم وإجلائهم من البلاد التي حطوا رحالهم فيها وعاشوا على أرضها؛ وعلة ذلك يكمن في أنهم يطمعون في ثرواتهم، ووفرة أموالهم التي حصلوا عليها بعبقريتهم وذكائهم وسعة حيلتهم وحسن تصرفهم وسرعة فطنتهم ومهارتهم في الزراعة والتجارة والصناعة، والآداب والفنون والعلم؛ فاليهودي قادر بحيلته وسعة أفقه وملكاته الفائقة وسرعة حركته وحسن تصرفه في المواقف المختلفة: أن يحول مياه البحر المالح إلى ماء عذب، والتراب إلى ذهب، وأن يصنع من الفسيخ شربات، على حد تعبير عوام المصريين.

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص٨٣

٣- كافة المستشرقين اليهود يؤمنون إيمانا راسخا أن فلسطين هي دولتهم، التي عاش فيها الآباء والأجداد وأجداد الأجداد، ويؤكدون على ذلك لأنفسهم أولا وللآخرين ثانيا، ويقرءون تاريخهم على هذا النحو ليس هذا فحسب بل ينقلونه إلى أجيالهم، وهم محملون بذكريات وتاريخية وقصص مثيرة عن أنبيائهم وقوادهم وجهودهم في توطين اليهود في فلسطين، وإنشاء دولة تضم شتاتهم، ودور علمائهم ومفكريهم ورجالاتهم كلها تصب في هذا المصب؛ إن فلسطين لهم وهي وطنهم الأثير. حتى الذين يقولون بالتوطين في البلاد التي استقروا فيها واندمجوا مع أهلها، ويطالبون بني جنسهم بصرف النظر عن هذا الحلم، ويدعون زملائهم نفض اليد من هذه القضية الخاسرة، إلا أنهم مقتنعون في قرارة نفوسهم أن فلسطين هي محضنهم الأول، لكنهم آثروا البقاء في الدول التي عملوا فيها لأسباب عملية ومصالح مادية ومنافع دنيوية وعلاقات اجتماعية.

٤- لم ينس أي مستشرق يهودي لحظة واحدة «أنه ينتمي للديانة اليهودية» وحينما التحق بهذا المجال وعكف في مكتبة نائية في أقصى الأرض على دراسة تراث الحضارة العربية الإسلامية، ثم أمسك القلم ليكتب عنها، لم ينفك عن كونه يهوديا ولم يستطع ألبتة أن يتحرر من هذا التحيز، وفشل في تطبيق قواعد المنهج العلمي، فلم يقرأ بموضوعية ولم يكتب أيضا، ومن ثم جاءت معظم كتاباتهم مجحفة بحق هذه الحضارة الزاهرة، وتحليلاتهم محملة برواسب الماضي، وذكريات التاريخ المؤلمة، وجانبهم الصواب في الكثير من أحكامهم، واستنتاجاتهم الظالمة.

لذلك كان استنتاجه صحيحا من قال: إذا كان صحيحا أنه من المحال أن نتجاهل أو ننكر تأثر من ينتج أية معرفة في مجال العلوم الإنسانية بظروفه الخاصة باعتباره ذاتا بشرية، فلابد أن يكون صحيحا كذلك أنه من المحال إنكار تأثر الدارس الأوربي أو الأمريكي للشرق لواقعه الراهن: أي انه يتصدى للشرق باعتباره أوربيا أو أمريكيا أولا، وباعتباره فردا ثانيا. [١]

٥ - من البدهيات أن العرب والمسلمين، خرجوا من شبه الجزيرة العربية في حماس

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق ص٥٧

إيماني رائع، وعقيدة قوية راسخة، وفتحوا الدول المجاورة وانتصروا عليهم، وشيدوا المدن، وأسسوا العلوم، و بنوا حضارة زاهرة، وكانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وأن الغرب لم يستطع أن يطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضلهم، إذ كان لهم في الأندلس وحدها سبعون مكتبة عامة، وأن التعليم في الجامعات الأوربية استفاد من مؤلفاتهم استفادة واسعة، (١)

الحقيقة التي لا جدال فيها أن الأمم الأخرى شاركت في تشييد هذه الحضارة وبناء أركانها، ولا محالة أن نعترف أن علماء النصرانية واليهودية شاركوا في بناء الحضارة العربية الإسلامية الإنسانية، وأسهموا في بعض المجالات الفلسفية والطبية والصيدلية والزراعية، وكذلك في ميدان الترجمة؛ سواء ترجمة الفكر العربي، أو ترجمات العرب للتراث اليوناني، وهذا وذاك نقلوه إلى أوربا.

٦- لا أحد يقلل من شأن جهود المستشرقين اليهود، أو يبخس حقهم في البحث عن مخطوطات الحضارة العربية في مكتبات العالم أو في الأديرة، وتبويبها وفهرستها وتصنيفها والمحافظة عليها من خلال مراجعتها و تحقيقها ودراستها ونشرها في طبعات زاهية دقيقة، مغرية في القراءة، سهلة التناول قريبة الفهم، بمقدمات ضافية ودراسات عميقة وتحليل علمي جيد، وشرح مفرداتها العويصة ومصطلحاتها الغامضة، ونقد مضمونها وتقييمها تقييما علميا؛

وبعد كل ما سبق، من المؤكد أن نستدرك لنريح الباحثين عن جوانب الضعف والتهافت، والمنقبون عن أوجه النقص والقصور، لنقرر أن كل ما قدموه عمل بشري له وعليه، ناقص بوجه من الوجوه ومن ثم فقد شابه هذا الجانب الذي يعتري الطبيعة البشرية التي خرجت من التراب وتأوي إليه في نهاية المطاف، وتتناوشها مشارب شتى ونوازع متضادة ورغبات مكبوتة.

٧- ما زلت معتقدا اعتقادا راسخا؛ أن جهود المستشرقين العلمية، وتحقيقاتهم الدقيقة، ونشرهم التراث العربي الإسلامي، كان عملا إيجابيا، ومجهودا عظيما يشكرون عليه،

(١) حضارة العرب ٤٣٧

على الرغم من كل ما شاب الجهد الاستشراقي في مراحله المختلفة، وتطوره من مرحلة الأزمة، إلى مرحلة العنف والكراهية، والتقدير الاحترام، إلى التردد بين الاعتدال والإنصاف والظلم والجحود والنقص والكمال.

إن ما قام به المستشرقون هو الفعل والإنتاج والإبداع، وما قمنا به هو رد الفعل والاصطفاف والدفاع، ولا شك أن الفعل أفضل من رد الفعل وأسدد، ولو لم يكن للمستشرقين إلا حسنة تحريك همة الشرقيين للدفاع عن تراثهم والذود عن قرآنهم ورسولهم وتاريخهم وفكرهم وشخصيتهم وأمتهم، والاصطفاف أمام هجمات بعض المستشرقين ووحدة كلمتهم وهدفهم، والتصدي لهذه الغزوات المنكرة والاتهامات الفاسدة.فهذا يحسب لهم في ميزان الإيجابيات ويضاف إلى رصيدهم العلمي، وحسنات الفعل الإنساني.

إن الإشكالية تكمن أننا نستفيد من إنتاج المستشرقين ونعول على آرائهم ونستشهد بتحليلاتهم لاسيما إذا كانت تتمدح بمنجزات الحضارة العربية الإسلامية، ونقتبس من نظراتهم ونقتدي بمنهجهم العلمي، وبعد كل هذا نلعنهم في السر والعلن، وهذا أشد أنواع التناقض، ومن أظهر ألوان ازدواجية الشخصية.

إننا يجب أن نكف عن الهجوم على جهود المستشرقين والتقليل من شأن ما أسدوه من خدمات لنا؛ ونعالج هذه القضية بموضوعية كبيرة وصدر رحب وأفق واسع ونظرة عقلانية صارمة؛ ونقيم إنتاجهم تقييما منصفا، فنشيد بالإيجابيات وننوه بأبعادها، ونذكر السلبيات ونحدد مظانها ومجالاتها في العلوم ونطلب من المختصين في هذه العلوم الرد عليها، من خلال الاطلاع الواسع والدراسة المعمقة والمنهج المحكم، متسلحين بالدليل البرهاني والحجة المقنعة، وحصافة العربي الحكيم، ومهارة النظام (٢٢٢هـ) في الجدل، وبلاغة الجاحظ المبهرة في الإيراد والرد، وأسلوب التوحيدي الجذاب في العرض والحوار والنقد والتحليل، وعقل ابن رشد المقنع في بسط القضية و تفنيد أدلة الخصوم وإظهار تهافت منطقهم.

«إن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية، لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج.فعلينا أن نكتسب

خبرتنا كذلك، أي أن نحدد نحن موضوعات تأملنا وألا نسلم بأن تحدد لنا. وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي.» (١)

وقد أحسنت جامعة الأزهر حينما خططت لمشروع طموح، وقررت البدء في إنتاج موسوعات إسلامية كبرى لشرح الفكر الإسلامي بكافة فروعه وتفنيد كتابات المستشرقين، وتناول كافة إنتاجهم بقدر عال من المهنية وتفنيد ما جاء فيه.

في ضوء ماسبق تأتي جهود المستشرقين اليهود، فنضعها داخل هذا النطاق الكبير فعندهم خير كثير وشر مستطير، جهد مشكور و عمل منكور، فلنأخذ ما يتفق مع مبادئ عقائدنا ومقررات ديننا وإرشاد شريعتنا، ثم نرد المآخذ ونرد عليها، نشمر عن ساعد الجد، ونقرأ بهمة كبيرة ونراجع المصادر التاريخية والمراجع القيمة، ونحلل ونستنتج ونتصدى لهذه السلبيات نفندها والثغرات نسدها، ونعرض بضاعتنا جيدة فائقة مؤيدة بالدليل والبرهان، وندخل الهيجا بسلاح العلم والحوار بحب الانتصار للحقيقة، والنقاش الحر ونحن متسلحين بكافة أنواع أسلحة المنهج العلمي، ولا ننسى مطلقا توجيه القرآن في أسلوب الجدل المحمود، ومبادئه الحضارية في أدب الحوار.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

محمد عبد الرحيم الزيني
مدينة روي العامرة ،سلطنة عُمان
الخميس ٢١رجب ١٤٣٢هـ
٢٣يونيو ٢٠١١

(١) مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين ص٤٨.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- أرنولد (توماس ت ١٩٣٠) الدعوة إلى الإسلام، ت، حسن إبراهيم حسن، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- الأنصاري (د.جابر) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، عالم المعرفة، (٣٥) الكويت، ١٤٠١/ ١٩٨٠.
- بالنثيا (آنخل جنثالث ت١٩٤٩) تاريخ الفكر الأندلسي، ت، د. حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- بدوي (عبد الرحمن ت ٢٠٠٢)موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣.
- موسوعة الفلسفة، ثلاثة أجزاء، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٤.
- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ت، كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب بدون.
- دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره، ت.كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب، بدون.
- الإنسانية والوجودية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.وأيضا دار القلم، بيروت ١٩٨٢.
- شخصيات قلقة في الإسلام.دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤.
- تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.
- الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٧.
- بروكلمان (كارل ت ١٩٥٦) تاريخ الأدب العربي (ستة أجزاء)، ترجمة عبد الحليم النجار و لفيف من علماء مصر، دار المعارف، القاهرة (٧٥-١٩٧٧)

obeikandl.com

- بن نبي (مالك ت١٩٧٣) إنتاج المستشرقين، وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩.

- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحي ت٢٩١هـ)، مجالس ثعلب، القسم الأول، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، بدون.

- الحاج (ساسي سالم) نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

- حاسون (جاك) تاريخ يهود النيل، ترجمة، يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

- الدفاع (علي عبد الله) رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٣.

- رينان (إرنست ت١٨٩٢)ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

الزركلي (خير الدين ت ١٩٧٦): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

- زيدان جورجي (١٩١٤) تاريخ آداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، تح، شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، د ت.

- مشاهير الشرق، جزءان، مكتبة الحياة، بيروت.د، ت.

- ساذرن: نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطي، ت، على فهمي خشيم، صلاح حسني، دار مكتبة الفكر نطرابلس، ليبيا، ١٩٧٥.

- شاكر (محمود ت١٩٨١)رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

- سعيد (إدوارد ت٢٠٠٣)الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة، د.محمد عناني، طبعة رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.

- سوسة (أحمد) أبحاث اليهودية والصهيونية، دار الأمل، إربد، الأردن، ٢٠٢٠.

obeikandi.com

- الطنطاوي (شيخ الأزهر محمد سيد ت٢٠١٠) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، القاهرة، ١٩٦٨.

- الطيباوي (عبد اللطيف ت١٩٨١) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١-١٩٩١

- العقيقي (نجيب) المستشرقون، ط٥ (٣ أجزاء)، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٦.

- لوبون (جوستاف ت١٩٣١): اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨

- حضارة العرب، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩.

- فوزي (د.فاروق) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر، عُمان، ١٩٩٨.

- لين (إدوارد وليم ت١٨٧٦)عادات المصريين وتقاليدهم (١٨٣٣-١٨٣٥)، ترجمة سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٩-١٩٩٩.

- قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠.

- متز (آدم ١٩١٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت، محمد عبد الهادي أبو ريده، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.

- مطبقاني (مازن)الاستشراق الأمريكي المعاصر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩.

- المنجد (صلاح): المستشرقون الألمان، دراسات جمعها وشارك فيها د.صلاح المنجد،، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨.

- النملة (د.علي) الاستشراق في الأدبيات العربية،

- ولفنسون (إسرائيل): تاريخ اليهود في بلاد العرب، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٦.

- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، ط،، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥، تقديم الشيخ مصطفي عبد الرازق.

obeikandl.com

- نصر الدين (حسن)الأجانب في الجامعة المصرية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨.

- هيكل (محمد حسنين)المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.

- ياسين (خليل ت١٩٨٤): محمد عند علماء الغرب، دار الكتاب المصري، بيروت، ٢٠٠٧.

- يفوت (سالم) حفريات الاستشراق، في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٩.

- يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ت، عمر لطفي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.

*** كتب للمؤلف:**

١- ابن القيم وآراؤه الكلامية، ط، الأمل، صنعاء، ١٩٩٩م.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٢ - مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٩٣م.

٣ - وقفة مع الفلسفة الغربية، ط، المنار، صنعاء ١٩٩٦م.

٤- مشكلة الموت بين الفلسفة والدين، ط، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٥- أبو الهذيل العلاف وآراؤه الكلامية والفلسفية، مطبعة الأمل، صنعاء، ١٩٩٨م. ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٦- شهداء الفكر في الإسلام، ط، دار الهدى، الجزائر، ١٩٩٩، ط٢، مطبعة الأمل صنعاء - ٢٠٠٠م.

٧- نشأة علم الكلام وأهدافه، مطبعة الأمل، صنعاء، ٢٠٠٠م.

obeikandl.com

٨- المقبلي وآراؤه الكلامية، ط١، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢١ هـ ٢٠٠٠)، ط٢، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ٢٠٠١م.ط٣، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٩- قراءة في فكر الشيخ مصطفى عبد الرازق، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢٢هـ-٢٠٠١).

١٠- أبو سليمان السجستاني، سيرته العلمية وآراؤه الفلسفية، دار القلم، دبى، الإمارات العربية، (١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧).

١١- عمرو بن عبيد وأصوله الخمسة، ط، مكتبة الأنفال، مسقط، ٢٠٠٧م.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

١٢- ابن السيد البطليوسي، وآراؤه الفلسفية والكلامية، مؤسسة ابن عمير، مسقط ٢٠٠٨.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

١٣- الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية، مطبعة الضامري، مسقط، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠،

الأبحاث المنشورة:

١- جمال الدين الأفغاني رائد التنوير، مجلة الموافقات، العدد ٢، يصدرها المعهد العالي لأصول الدين جامعة الجزائر، ١٩٩٢م.

٢- الحرية الإنسانية عند العلاف، مجلة جرش، العدد الأول، الأردن، ديسمبر، ١٩٩٧م.

٣- القديس أوغسطين وفلسفته، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١، جامعة صنعاء، ١٩٩٨م.

٤- حياة العلاف ومؤلفاته، مجلة دراسات يمنية، العدد ٥٧، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ١٩٩٩م.

٥- منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد ٣٩، بيروت، صيف وخريف ١٩٩٩م.

obeikandl.com

٦- موقف أبى سليمان السجستاني من علوم عصره، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٧، العدد الأول، تصدرها جامعة اليرموك، مارس ٢٠٠١م.

٧- حياة أبى سليمان السجستاني ومنهجه، مجلة المنارة، تصدرها جامعة آل البيت الأردن ٢٠٠١م.

٨- خلق العالم عند أبى الهذيل العلاف، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، تصدرها جامعة عمان الأهلية، الأردن، المجلد ٨، العدد ٢، تشرين الأول، ٢٠٠١م.

٩- اشترك في موسوعة أعلام فلاسفة العرب، إشراف د.عاطف العراقي، وصدرت الموسوعة عن دار لونجمان، القاهرة.

١٠ - اشترك في موسوعة علماء العرب والمسلمين، تصدرها المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، تونس.

قيد الطبع:

- الفلسفة الطبيعية عند الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، قيد النشر لدى مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء.
- هوامش على السيرة الذاتية للدكتور عبد الرحمن بدوى. لدى دار اليقين، المنصورة.
- تجديد الخطاب الديني، بين الواقع والمأمول. لدى دار اليقين، المنصورة.
- منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي. لدى دار اليقين، المنصورة.
- الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية. لدى دار اليقين، المنصورة.

***

obeikandi.com

السيرة الذاتية للمؤلف

- محمد عبد الرحيم الزيني.
- مواليد الدقهلية، مصر.
- الليسانس من كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٧٦)
- الماجستير في الفلسفة الإسلامية، قي موضوع ابن القيم وآراؤه الكلامية، آداب القاهرة (١٩٨٠)
- الدكتوراه، في موضوع مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، آداب القاهرة.(١٩٨٠).

*** التأريخ الوظيفي:**

١- العمل بالتدريس بدرجة مدرس فلسفة وعلم النفس، بدار المعلمين والمعلمات، بدكرنس، من (٧٦ -١٩٨٢).

٢- العمل بالتدريس بدرجة مدرس فلسفة بمعهد المعلمين، بصور، سلطنة عمان.

٣- التدريس بدرجة مدرس فلسفة إسلامية، بالمعهد العالي لأصول الدين، جامعة الجزائر. من (٧/ ١١/ ١٩٩٠: ٤/ ٩/ ١٩٩٣)

٤- التدريس بكلية التربية، جامعة صنعاء، بدرجة مدرس فلسفة إسلامية،

٥- الترقية إلي درجة أستاذ مشارك (أستاذ مساعد) في ٢٥/ ٥/ ١٩٩٩.

٦- رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، بكلية التربية، جامعة صنعاء، من ١/ ١٠/ ١٩٩٣: العام الدراسي ٩٦/ ١٩٩٧.حيث تم تصفية القسم.

٧- رئيس قسم العلوم التربوية في العام الدراسي ٩٧/ ١٩٩٨.

٨- رئيس قسم الدراسات الإسلامية من بداية العام الدراسي ٩٨/ ٢٠٠١.

٩- العمل بمعهد العلوم الشرعية، بمسقط، سلطنة عمان، من ١٢ سبتمبر/ ٢٠٠١. ومازال علي رأس عمله.

١٠- الترقية إلي درجة أستاذ في ٣يوليو ٢٠٠٢، من جامعة القاهرة.

***

obeikandl.com